تفسير آيات العقيدة في سورة الأنعام من الآية (١٢) إلى الآية (١٩)
(دراسة تحليلية مقارنة)

إعداد
د. خلود يوسف محمد النشار
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
قسم الكتاب والسنة - كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى
(المملكة العربية السعودية)

موجز عن البحث

مما أهتم المفسرون ببيان أصوله ، وإيضاحه ، والعناية بدراسته : الآيات المتضمنة لأصول العقيدة ؛ ذلك أن العقيدة هي القاعدة التي يقوم عليها بناء الإسلام ، فإذا كانت القاعدة صحيحة سليمة ، فإن البناء يكون سليما محكما.

ولذلك فإن قضايا العقيدة ، وأصول دين الإسلام من المسائل المهمة التي عُنيّ علماء التفسير بتقريرها وتأصيلها وتحقيقها وتوضيحها ؛ كي لا يلتبس على الناس أمرها فيقعوا في الضلالات والأهواء التي خدع بها كثير من الناس .

وقد تناولت هذا البحث الذي ينتمي في تخصصه الدقيق إلى التفسير ... تفسيرا تحليليا مقارنا لآيات العقيدة في سورة الأنعام تحت مسمى:

"دراسة آيات العقيدة في سورة الأنعام

من الآية ١٢ إلى الآية ١٩ ، دراسة تحليلية مقارنة"

وذلك من خلال عرض مسائل وتفصيلات الآية، ومن ثمّ ذكر أقوال المفسرين مع الترجيح بين الأقوال إن اقتضى المقام .

وكان من أهم أسباب اختيار هذه السورة: تناولها للقضايا الأساسية الكبرى لأصول العقيدة والإيمان ؛ إذ أن محورها الأساس: التوحيد الخالص لله تعالى .

كما أن السورة امتازت بقوة الحجة وساقت البراهين القاطعة في الدلالة على وجود الله ـ عز وجل ـ وتنوعت أساليبها في الإقناع ودحض شبهات المنكرين ، وكان من أبرز تلك الأساليب في هذه السورة :أسلوب التقرير وأسلوب التلقين . كما تناول البحث بيانـًا توضيحيًا عن تلك السورة المكية والتي هي من السبع الطوال .

الكلمات المفتاحية: آيات ، العقيدة ، الأنعام ، الحُجّة .

"Interpretation Of The Dogmatic Verses In Surat Al- An'am Verses (12 to 19) Analytical Compared Study".

KHOLOUD YOUSSEF MOHAMMED NASHAR

Department of Quran and Sunnah, College of Dawah and Religion Fundamentals, Umm Al-qura University, Makkah Al-Mukarramah, Saudi Arabia

Email: al_kholoud4@hotmail.com

Abstract:

From what the commentators have been interested in explaining its principles, clarifying it, and studying it carefully: the verses that contain the foundations of the belief; That is because the creed is the basis upon which the construction of Islam is based.

Therefore, the issues of belief and the foundations of the religion of Islam are among the important issues that the scholars of interpretation have been tasked with deciding, rooting, verifying and clarifying; So that people do not become confused about it and fall into delusions and whims with which many people have been deceived.

I dealt with this research, which belongs in its strict specialization to interpretation... an analytical and comparative interpretation of the verses of the creed in Surat Al-An'am under the name:

Studying the verses of faith in Surat Al-An'am

From verse 12 to verse 19, a comparative analytical study"

This is done by presenting the issues and details of the verse, and then mentioning the sayings of the commentators with weighting between the sayings if necessary.

One of the most important reasons for choosing this surah was: its handling of the major fundamental issues of the foundations of belief and faith; Its main focus is the pure monotheism of God Almighty.

The surah was also distinguished by the strength of the argument and presented conclusive proofs of the existence of God Almighty, and its methods varied in persuasion and refuting the suspicions of the deniers. The research also dealt with an explanatory statement about that Meccan surah, which is one of the seven long ones.

Keywords: Verses, Creed, Cattle, Argument.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على أشرف نبي أنزل عليه أشرف كتاب؛ نبينا محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ـ ومن سار على نهجهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد :

فإن من أشرف الأعمال وأجلها الاشتغال بعلم كتاب الله ـ ﷻ ـ بيانا لمعانيه ، واستنباطا لفوائده وأحكامه ، وما فيه من مواعظ وعظات ودروس تحتاجها الأمة .

ومما أهتم المفسرون ببيان أصوله ، وإيضاحه ، والعناية بدراسته : الآيات المتضمنة لأصول العقيدة ؛ ذلك أن العقيدة هي القاعدة التي يقوم عليها بناء الإسلام ، فإذا كانت القاعدة صحيحة سليمة ، فإن البناء يكون سليما محكما.

ولذلك فإن قضايا العقيدة ، وأصول دين الإسلام من المسائل المهمة التي عُنيّ علماء التفسير بتقريرها وتأصيلها وتحقيقها وتوضيحها ؛ كي لا يلتبس على الناس أمرها فيقعوا في الضلالات والأهواء التي خدع بها كثير من الناس .

وقد تعددت المناهج في تفسير آيات العقيدة ، وتنوعت أساليب العرض ، وذلك بحسب مناهج المفسرين وتصوراتهم على العقيدة .

ولذا رأيت كتابة بحث متعلق بآيات العقيدة في القرآن الكريم ، وعرضها بطريقة الدراسة التحليلية المقارنة ، واخترت الآيات التي تضمنتها سورة الأنعام تحت مسمى :(دراسة آيات العقيدة في سورة الأنعام) من الآية ١٢ إلى الآية ١٩ ، دراسة تحليلية مقارنة .

وكان من أهم أسباب اختياري لهذه السورة أن المحور الأساس لها : التوحيد الخالص لله ـ تعالى ـ في الاعتقاد والسلوك ؛ حيث تناولت القضايا الأساسية الكبرى

لأصول العقيدة والإيمان ، فضلا عن أن طريقة عرض السورة لا تكاد تتكرر ؛ حيث تميزت بقوة الحجة ، والبرهان القاطع .

فهي أصل في محاجة المشركين والمعارضين وتفنيد شبههم مستخدمة أسلوب التنويع في المجادلة والمناظرة . وهذا يدل على شمول العقيدة لجميع ما تحتاجه النفس البشرية .

والله تعالى أسأله التوفيق والسداد في القول والعمل .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين ، تسبقهما مقدمة ، وتتلوهما خاتمة وفهارس .

- **المقدمة** : وتشتمل على أهمية الموضوع وسبب اختياره ، وخطة البحث ، والمنهج فيه .
- **المبحث الأول** : وقفات بين يدي السورة ، ويشتمل على ما يلي :
  - اسم السورة ، وسبب التسمية .
  - فضل السورة .
  - زمن نزول السورة .
  - نوع السورة واختلاف العلماء في كيفية نزولها .
  - ترتيب السورة وعدد آيها .
  - محور السورة .
  - الموضوعات التي اشتملت عليها السورة .
  - أغراض السورة .

- مناسبة السورة لما قبلها .
- مناسبة السورة لما بعدها .
- المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها .

❖ **المبحث الثاني** : تفسير آيات العقيدة تفسيرا تحليليا مقارنـًا من الآية ١٢ إلى الآية ١٩ من سورة الأنعام .

❖ **الخاتمة** : وقد احتوت على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ، والتوصيات.

❖ **الفهارس** : ويشتمل على : فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

منهج البحث :

١. عرضت في بداية هذا البحث مقدمة عن السورة : اسمها ، وفضلها ، ونوعها ، وعدد آياتها ، وارتباطها بما قبلها وما بعدها وما إلى ذلك .

٢. قسمت الآيات إلى مجموعتين بحسب ترابطهما ، وعنونت لكل مجموعة بموضوع مناسب لها .

٣. عند تفسير الآيات عرضت الآية المراد تفسيرها ، ثم تتبعت أقوال المفسرين في بيان معانيها ، مع الترجيح بين الأقوال إن اقتضى المقام .

٤. تعرضت لبعض النواحي الاعرابية والنكت البلاغية .

٥. في باب المسائل العقائدية المتعلقة بصفات الله تعالى ، والتي حصل فيها التأويل من قبل بعض المفسرين ، بينت مذهب أهل السنة والجماعة مع عرض أقوال الفرق المخالفة بإيجاز .

٦. التزمت بكتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني مع عزوها إلى سورها وذلك بذكر

السورة ثم رقم الآية .

٧. عزوت الأحاديث إلى مظانها والتزمت التخريج من الصحيحين أو أحدهما ، فإن لم أجد فإني أخرجه من الكتب الأخرى مع ذكر أقوال العلماء وحكمهم على الحديث إن وجد .

٨. بينت بعض المفردات اللغوية الواردة في البحث .

٩. عزوت جميع أقوال العلماء وما يتعلق بمعلومات البحث إلى مظانها في المصادر المختلفة ، وقد أنقل القول نصا مع وضعه بين علامتي التنصيص ، وقد أتصرف فيه وأشير إلى ذلك في الهامش .

١٠. لم أترجم مطلقا لأي علم من الأعلام الوارد ذكرهم في البحث .

١١. ذيلت البحث بفهرسيّ المصادر والمراجع ، والموضوعات .

المبحث الأول: وقفات بين يدي السورة

اسم السورة :

تسمى بسورة الأنعام ؛ وذلك لورود ذكر الأنعام فيها والشيء قد يسمى بجزئه . وهذه التسمية عرفت في عهد النبي ﷺ ، وليس لها اسم غيره .

قال الزركشي : " وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها ، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ – سورة الأنعام (الآيات : ١٤٢-١٤٤) ، لم يرد في غيرها "[١] .

إذا التسمية جاءت لورود كثير من أحكام الأنعام فيها كما في الآيات السابقة ، ولبيان السورة لجهالات المشركين فيها ، كتحليلهم وتحريمهم حسب أهوائهم وتقاليدهم البالية وتقربهم بها إلى أصنامهم؛ لذا هناك من يسميها أيضا بالحُجَّة لكثرة ما فيها من الدلائل والبراهين ، وإقامة الحجة على المشركين والمنكرين .[٢]

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٤٠) .

(٢) انظر : الإتقان للسيوطي ، النوع السابع عشر : في معرفة أسمائه وأسماء سوره (١ / ١٦٠) ، التحرير والتنوير لابن عاشور (٧ / ١٢١) ، محاسن التأويل للقاسمي(٦ / ٤٤٩)، التفسير المنير د.وهبة الزحيلي (٧ / ١٢٦)، التفسير الموضوعي لسورة الأنعام د.أحمد الشرقاوي ص(٣) . ذلك أن الأنعام عند قريش كانت هي

فضل السورة :

كثرت المرويات في فضل سورة الأنعام ، ومما جاء فيها :

١- عن جابر ﷺ، قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال :(شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق) [١].

٢- عن ابن عباس ﷺ قال:(نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة واحدة ، حولها سبعون ألف ملك يجأرون[٢] بالتسبيح). [٣]

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : (نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة ، وشيعها سبعون ألفا من الملائكة ، لهم زجل[٤] بالتسبيح

عصب الحياة من مأكل ومشرب وغذاء ومواصلات وغير ذلك ، وكان كفار قريش يقولون نعبد الله لكن عصب الحياة لنا نتصرف فيها كيف نشاء ، لكن الله تعالى يخبرهم أن التوحيد يجب أن يكون في الاعتقاد وفي التطبيق ، أيضا يجب أن نوحد الله في كل التصرفات وليس في المعتقدات فقط ، وهذا توجيه ليس لكفار قريش فقط إنما توجيه لعامة الناس الذين يعتقدون بوحدانية الله تعالى ولكن تطبيقهم ينافي معتقدهم ، فعلينا أن نأخذ الدين كاملا وأن نوحد الله تعالى في المعتقد والتطبيق .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٣٤٤) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، فإن إسماعيل هذا هو السدي ولم يخرجه البخاري . وقد تعقب الذهبي الحاكم بقوله : لا والله لم يدرك جعفر السدي ، وأظن هذا موضوعا . وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٤٧٠) وفيه موسى بن عبيدة ضعفه ابن حجر ، وضعفه الذهبي .

(٢) جأر : رفع صوته مع تضرع واستغاثة . أي : يتضرعون بالدعاء . لسان العرب لابن منظور (٢ / ١٥٧) .

(٣) أخرجه أبو عبيدة في فضائل القرآن ص(١٢٩) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ٢١٥) ، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف . وعزاه السيوطي إلى ابن الضريس في فضائل القرآن وابن مردويه ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٢٤٣) .

(٤) أي : صوت رفيع عال . النهاية في غريب الأثر لابن الجزري ، باب الزاي مع الجيم (٢/ ٢٩٧) ، مختار الصحاح للرازي ،باب الزاي (١/ ١١٣) .

والتحميد"[١]

٤- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : (الأنعام من نواجب[٢] القرآن) [٣] .

والذي يظهر أن هذه الأخبار المروية في فضل سورة الأنعام لم يثبت منها شيء ، وليس لها أصل صحيح .

قال ابن الصلاح في فتاويه : " الحديث الوارد في أنها نزلت جملة ، رويناه من طريق أبي بن كعب وفي إسناده ضعف ، ولم نر له إسنادا صحيحا ، وقد روي ما يخالفه ، فروي أنها لم تنزل جملة واحدة ، بل نزلت آيات منها بالمدينة ، واختلفوا في عددها ، فقيل : ثلاث ، وقيل : ست ، وقيل غير ذلك " [٤] .

وقال الألوسي في تفسيره بعد ذكره جملة من الأحاديث والآثار الواردة في فضل السورة ما نصه : " ... إلى غير ذلك من الأخبار ، وغالبها في هذا المطلب ضعيف ، وبعضها موضوع كما لا يخفى " [٥] .

بينما يرى السوطي أن هذه الأخبار شواهد يقوي بعضها بعضا ، وذلك بعد أن ساق

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢٠) رواه الطبراني في الصغير وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف .

(٢) نجائب القرآن ونواجبه : أفاضل سوره. النهاية في غريب الأثر ، باب النون مع الجيم (٥/ ١٦) ، لسان العرب لابن منظور (١/ ٧٤٨) مادة نجب .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه (٢ / ٥٤٥) ، باب فضائل الأنعام والسور ، وقال محققه : إسناده جيد إلى عمر رضي الله عنه وهو موقوف عليه . وانظر : الإتقان للسيوطي ، النوع الثاني والسبعون : في فضائل القرآن (٤ / ١٠٩).

(٤) نقلا عن الإتقان للسيوطي (١ / ١٠٨) .

(٥) روح المعاني (٧/ ٧٢) .

جملة من الأحاديث الواردة في نزولها جملة [١] .

وعلق الدكتور صالح المغامسي على هذه الأخبار الواردة في سورة الأنعام قائلا : " .... تظافرت روايات ليس فيهن رواية لها سند صحيح ، ولكنها متنوعة الطرائق ولهذا قبلها المفسرون وهي أن السورة نزلت في مكة جملة واحدة ، وشيعها سبعون ألف ملك ، وهذا لا نجزم به ولكن نقول أكثر أهل العلم من المفسرين عليه ، والصناعة الحديثة لا ينبغي أن تطبق بالكامل في مثل هذا ما دمنا لم ننسب ولم نرفع إلى النبي ﷺ قول " [٢] .

زمن نزول السورة :

نزلت سورة الأنعام في السنة الرابعة من البعثة ، ومما يرجح هذا القول : أنها نزلت عقب سورة الحجر التي أمر الله تعالى فيها نبيه ﷺ بالجهر بالدعوة بقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ – سورة الإسراء (أية ٩٤) ، ونعلم أن النبي عليه السلام مكث ثلاث سنين وهو يدعوا الناس سرا ، ثم أمر بالجهر في الدعوة ، فأيده الله تعالى بالحجج والبراهين الساطعة كما هو واضح من الأسلوب الذي تميزت به سورة الأنعام .[٣]

نوع السورة واختلاف العلماء في كيفية نزول السورة :

سورة الأنعام مكية بالاتفاق ، وهي أول سورة مكية في السبع الطوال ، حسب

---

(١) الإتقان (١ / ١٠٨) .

(٢) تأملات في سورة الأنعام ، مادة صوتية ، الشبكة العنكبوتية > مكتبة طريق الإسلام > قسم الصوتيات ، (www.islamway.com) .

(٣) انظر : مفاتيح الغيب (٦ / ١٤٩) ، التحرير والتنوير (٧ / ١٢٣) ، تفسير المراغي (٧ / ٦٩) ، في ظلال القرآن (٧ / ١٠٢٠) ، زهرة التفاسير لأبي زهرة (٥ / ٢٤١٦) .

ترتيب المصحف ، وقد جاءت لترسيخ العقيدة الصحيحة وإبطال ما عليه أهل الكفر من ضلالات وجهالات ، وتقرير أصول الشريعة .

وقد اختلف العلماء في كيفية نزولها فمنهم من يرى أنها نزلت متفرقة [١] ؛ لوجود آيات مدنية فيها [٢]، ويرى البعض الآخر أنها نزلت بمكة جملة واحدة وأكثر العلماء على ذلك [٣]. وهذا ما يترجح _ والله تعالى أعلم _ ويؤيده أقوال العلماء في ذلك[٤].

حيث يقول الشيخ محمد رشيد رضا ما نصه : " قد ثبت أن بعض الآيات كانت تصدق على وقائع تحدث بعد نزولها أو قبله فتذكر للاستشهاد أو الاحتجاج بها في الواقعة منها فيظن من سمعها حينئذ من الصحابة ولم يكن سمعها من قبل أنها نزلت في تلك الواقعة ، وكثيرا ما كان يقول الصحابي إن آية كذا نزلت في كذا ، وهو يريد أنها نزلت

---

(١) هذا ما ذهب إليه الألوسي عند تفسيره لسورة الأنعام . انظر : روح المعاني (٧ / ٧٢ – ٧٣) .

(٢) قالوا : كلها مكية إلا ست آيات منها مدنية وهي قوله تعالى " وما قدروا الله حق قدره " _ الأنعام : ٩١ _ إلى تمام ثلاث آيات ، وقوله " قل تعالوا ... " _ ١٥١ _إلى آخر الثلاث آيات .

قال بعض العلماء : ولا مانع في أن يكون بعض آياتها مدنيا ، ثم وضعه النبي ﷺ في موضعه من السورة . انظر : التفسير الواضح د. محمد حجازي (٧ / ٥٨٤) ، التفسير المنير د. وهبة الزحيلي (٧ / ١٢٦) .

(٣) انظر : جامع البيان (٥ / ١٩١) ، النكت والعيون للماوردي (٢ / ٩١) ، الوسيط للواحدي (٢ ٢٥٠) ، معالم التنزيل للبغوي (٢ / ٨٣) ، زاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٣) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/ ٣٨٢) ، مفاتيح الغيب للرازي ٦ / ١٤٩) ، تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٦) ، إرشاد العقل السليم لأبو السعود (٢ / ١٦٠) ، التحرير والتنوير لابن عاشور (٧ / ١٢١- ١٢٣) ، محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٤٤٦) ، تفسير المنار لمحمد رضا (٧/ ٢٣٤) ، تفسير القرآن الكريم محمود شلتوت ص(٣٩١- ٣٩٢) ، التفسير الواضح د. محمد حجازي (٧/ ٥٨٤) ، التفسير الموضوعي لسورة الأنعام ص (٣،٥) .

(٤) تبين ذلك عند الرجوع إلى أقوال المفسرين للآيات التي قيل أنها مستثناة من السورة أنها كلها مكية ، وهذا ما رجحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري .

في إثبات هذا الأمر أو حكمه أو دالة عليه ، فيظن الراوي عنه أنها نزلت عند حدوث ذلك الأمر والصحابي لا يريد ذلك " .[١]

ويقول القرطبي : " هذه السورة أصل في محاجة المشركين ، وغيرهم من المبتدعين ، ومن كذب بالبعث والنشور ، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة ؛ لأنها في معنى واحد من الحجة "[٢]

ويقول الفخر الرازي : " قال الأصوليون هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة . أحدهما : أنها نزلت دفعة واحدة ، والثاني : أنها شيعها سبعون ألفا من الملائكة، والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين ، ثم قال : فإنزال ما يدل على الأحكام قد تكون المصلحة أن ينزله الله تعالى قدر حاجتهم ، وبحسب الحوادث والنوازل . أما ما يدل على علم الأصول فقد أنزله الله تعالى جملة واحدة " [٣].

ويقول الشيخ برهان الدين البقاعي ما نصه : " ... وإنزالها على الصورة المذكورة يدل على أن أصول الدين في غاية الجلالة وأن تعلمه واجب على الفور لنزولها جملة ، بخلاف الأحكام فإنها تفرق حسب المصالح " [٤] .

ويرى الشيخ محمود شلتوت بأنه لا مجال للقول بأن بعضها من قبيل المدني ، ولا بأن آية كذا نزلت في حادثة كذا ، فكلها جملة واحدة ، نزلت بمكة لغاية واحدة ، هي

---

(١) تفسير المنار (٧ / ٢٣٤ – ٢٣٥) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٣٨٣) .

(٣) مفاتيح الغيب (٦ / ١٤٩) .

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٧ / ٢) .

تركيز الدعوة بتقرير أصولها والدفاع عنها "[١] .

ترتيبها وعدد آياتها :

هي السورة السادسة بترتيب المصحف الشريف ، وعدد آياتها مائة وخمس وستون آية [٢] .

محور السورة:

إن المحور الأساسي الذي تدور حوله السورة " التوحيد الخالص لله في الاعتقاد والسلوك " أو بمعنى آخر " العقيدة وأصول الإيمان" وهي تختلف عن سابقتها من السور المدنية فلم تتعرض لشيء من الأحكام التنظيمية للمسلمين ، كالصوم والحج والعقوبات وأحكام الأسرة . ولم تذكر أمور القتال ومحاربة الخارجين على دعوة الإسلام ، كما لم تتحدث عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولا عن المنافقين ، وإنما تناولت القضايا الأساسية الكبرى لأصول العقيدة والإيمان ، والتي تتلخص فيما يلي :

١. قضية الألوهية .
٢. قضية الوحي والرسالة .
٣. قضية البعث والجزاء .

ونجد الحديث في هذه السورة مستفيضاً حول هذه الأصول الأساسية للدعوة الإسلامية ، وسلاحها في ذلك الحجة الدامغة ، والدلائل الباهرة ، والبرهان القاطع في

---

(١) تفسير القرآن الكريم ص (٣٩٢) .

(٢) انظر : البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ص (١٥١) ، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي ص(٢٨٢).

طريق الإلزام والإقناع ؛لأن السورة نزلت في مكة على قوم مشركين. ومما يلفت النظر في هذه السورة الكريمة أنها عرضت لأسلوبين بارزين لا نكاد نجدهما بهذه الكثرة في غيرهما من السور ، هما :

١ – أسلوب التقرير. ٢ – أسلوب التلقين.

أما الأول: أسلوب التقرير:

فإن القرآن يعرض الأدلة المتعلقة بتوحيد الله ﷻ والدلائل المنصوبة على وجوده، وقدرته ، وسلطانه ، وقهره ، في صورة الشأن المسلَّم ، ويضع لذلك ضمير الغائب عن الحسّ ، الحاضر في القلب ، الذي لا يماري فيه قلب سليم ، ولا عقل راشد في أنه – تعالى– المبدع للكائنات ، صاحب الفضل والإنعام ، فيأتي بعبارة " هو " الدالة عن الخالق المدبر الحكيم كقوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ** ﴾– سورة الأنعام (من الآية ١)، وقوله: ﴿**وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ**﴾ – سورة الأنعام (من الآية ٣)، وقوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ**﴾ – سورة الأنعام (من الآية ٦٠) ، وقوله: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ – سورة الأنعام (من الآية ٦١) ، ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾ – سورة الأنعام (من الآية ٧٣) .

أما الثاني: أسلوب التلقين:

فهو إيراد الحجج بتعليمها الرسول ﷺ ، وتلقينها إياه لعرضها على الخصوم، بحيث تأخذ عليه سمعه ، وتملك عليه قلبه فلا يستطيع التخلص أو التفلت منها، ويأتي هذا الأسلوب بطريق السؤال والجواب يسألهم ثم يجيبهم . فنلاحظ في السورة كثرة استخدام كلمة " قُل" ، مثل قوله تعالى: ﴿**قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ – سورة الأنعام (من الآية ١٣) ، وقوله: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾ – سورة الأنعام (من الآية ١٩) ، وقوله: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ**

﴿وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ – سورة الأنعام (من الآية ٤٦) ، وقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آَيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ – سورة الأنعام (الآية٣٧) .

هكذا تعرض السورة الكريمة لمناقشة المشركين وإفحامهم بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة التي تقصم ظهر الباطل. ومن هنا كانت سورة الأنعام من السور المكية ذات شأن في تركيز الدعوة الإسلامية ، تقرر حقائقها ، وتثبت دعائمها ، وتفند شبه المعارضين لها بطريقة المناظرة والمجادلة .

والسورة تذكر توحيد الله ﷻ في الخلق والإيجاد ، وفي التشريع والعبادة ، وتذكر موقف المكذبين للرسل ، وتقص عليهم ما حاق بأمثالهم السابقين ، وتذكر بالبعث والجزاء .[1]

الموضوعات التي اشتملت عليها السورة :

١- ابتدأت السورة ببيان استحقاق الله تعالى وحده للحمد ؛ لأنه خالق السموات والأرض وحده ، وبيان كمال سلطانه في خلقه .

٢- مواجهة المشركين بحقيقة التوحيد، وصرف العبادة لله وحده لا شريك له بالأدلة الدالة على أنه المتفرد بالخلق والإيجاد.

٣- تعرض السورة مواقف المكذبين بآيات الله – تعالى – ، يتخلله التهديد والوعيد. فتذكر موقف المكذبين للرسل، وتقص عليهم ما حاق بأمثالهم من السابقين ، وتذكر شبههم في الوحي والرسالة ، كما تصور حالهم في الآخرة، وأنها مفارقة

(١) انظر : تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت (٢٩٤، ٣٠٣ – ٣٠٥) .

لحالهم في الدنيا .

٤- تعرض السورة أيضـًا نموذجـًا فريداً من نماذج المحاجة والمجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة ، فتذكر قصة إبراهيم عليه السلام لما ناظر قومه في إثبات التوحيد لله وحده، وإبطال عبادة الكواكب التي كانت منتشرة في زمنه، وقد حاجهم بإقامة الدليل على وجود الله سبحانه ووحدانيته ، وأفحمهم بالحجج المقنعة ، والبراهين الساطعة.

٥- تذكر يوم البعث والجزاء، وتبسط ذلك بالتنبيه إلى الدلائل في الأنفس والآفاق.

٦- كما تذكر السورة منزلة القرآن الكريم وهو أنه كتاب هداية ، وأنه نزل على محمد ﷺ الذي علمتموه أمينـًا لا يكذب.

٧- مناقشة المشركين ومجادلتهم في التحليل والتحريم في الأنعام والحرث والزرع ، بالحجج العقلية ، والأدلة الدامغة ، مع تسفيههم ، والتشنيع عليهم، وبيان الحق فيما حرم الله – تعالى - من المطعومات، وأنه هو وحده مصدر التشريع والتحليل والتحريم.

٨- عرضت السورة الوصايا العشر في بيان أصول الدين ، والواجبات ، والمحرمات ، والأخلاق والآداب الاجتماعية ، وسميت وصايا لأنها ختمت بلفظ الوصية .

١١- ختمت السورة ببيان فضيلة هذا الدين، وأنه يشمل كل حياة المسلم حتى مماته ، ومركز الإنسان عند ربه في هذه الحياة ، وهو أنه خليفة في الأرض.[1]

(١) انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور (٨ / ١٢٣- ١٢٤) ، تفسير المراغي (٨ / ٩٤) ، تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت (٢٨٣ ، ٢٩٤- ٣٠٣) ، زهرة التفاسير لأبي زهرة (٥/ ٢٤١٧– ٢٤٢٨) .

أغراض السورة:

تهدف السورة إلى إثبات ما يلي :

أ) إثبات أصول الاعتقاد عن طريق الإقناع والتأثير والمناظرة والجدل ، والجواب عن سؤال ، كوجود الله وتوحيده وصفاته وآياته في الأنفس والآفاق ، وتأثير العقيدة في العمل .

ب) إثبات النبوة والرسالة والوحي ، والرد على شبهات المشركين بالأدلة العقلية والعلمية والحسية .

ت) إثبات البعث والحساب والجزاء على الأعمال يوم القيامة ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، مع ذكر عالم الغيب من الملائكة والجن والشياطين والجنة والنار .

مناسبة السورة لما قبلها:

يتضح ارتباط السورة بما قبلها من أوجه متعددة نشير إلى أبرزها :

١- أن سورة المائدة تحدثت عن الحلال والحرام من الأطعمة، وجاءت سورة الأنعام لإكمال الحديث عن الأطعمة ، فعلى سبيل المثال؛ قال الله ﷻ في سورة المائدة (من الآية ٣): ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ**﴾ ، وجاء في سورة الأنعام (من الآية ٤٥) قوله تعالى:﴿ **قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ**﴾ .

٢- أن سورة المائدة جاءت في محاجة أهل الكتاب في عقائدهم، وذبائحهم، وأطعمتهم، وجاءت سورة الأنعام في محاجة المشركين في عقائدهم، ومطعوماتهم.

٣- إن هذه السورة افتتحت بالحمد، وتلك اختتمت بفصل القضاء، وبينهما تلازم كما

قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾– سورة الزمر (من الآية ٧٥) .

٤- أنه تعالى لما ذكر في آخر المائدة – من الآية (١٢٠): ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾، على سبيل الإجمال، افتتح ﷻ هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله ، فبدأ ﷻ بذكر خلق السموات والأرض، وضم تعالى إليه أنه جعل الظلمات والنور، وهو بعض ما تضمنه ما فيهن .(١)

قال الشيخ أبو زهرة – رحمه الله:" كان ختام السورة السابقة: إثبات سلطان الله تعالى الكامل وقدرته الشاملة، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وفي مستهل سورة الأنعام يبين سبحانه السبب في كمال سلطانه والمظهر الأعظم لكمال قدرته ﷻ"(٢).

مناسبة السورة لما بعدها: وجه ارتباط هذه السورة بما بعدها هو أن سورة الأنعام اشتملت على :

١- بيان الخلق كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾– سورة الأنعام (من الآية٢) .

٢- بيان القرون كما قال تعالى :﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ﴾ – سورة الأنعام(من الآية٦).

٣- ذكر المرسلين، وتعداد الكثير منهم .

وكانت هذه الأمور الثلاثة على سبيل الإجمال .

ثم جاءت سورة الأعراف مفصلة لما أوجز في الأنعام، فهي كالشرح والبيان ،

---

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (١/ ٩٧) ، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٧ / ٢٣٨- ٢٣٩) ، تفسير المراغي (٧/ ٦٩).

(٢) زهرة التفاسير (٥ / ٢٤٢٩).

فبسطت فيها قصة خلق آدم أبلغ بسط ، ثم فصلت قصص المرسلين وأممهم، وكيفية هلاكهم تفصيلاً شافيـاً، وذلك بسط حال القرون المهلكة ورسلهم ، فكانت هذه السورة شرحـاً لتلك الآيات الثلاث .

٤- أيضـاً قال ﷻ في الأنعام: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ – سورة الأنعام (من الآية ٥٤)،وهو موجز، وبسطه في سورة الأعراف (الآية١٥٦) بقوله: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...** ﴾– الآية – فبيَّن من كتبها لهم[1] .

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

١- بدأت السورة الكريمة ببيان تفرّده ﷻ بالحمد وانتهت ببيان تفرّده ﷻ بالوحدانية فلا رب غيره ولا معبود سواه.

٢- استهلت السورة الكريمة بالحديث عن نعمة الإيجاد الأول " المبدأ "، قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ**﴾ – سورة الأنعام (الآيتان١-٢) ، واختُتمت السورة بتقرير نعمة الإيجاد الثاني " المعاد "، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ – سورة الأنعام (الآيتان ١٦٤- ١٦٥) .

---

(١) أسرار ترتيب القرآن (١/ ١٠١-١٠٢) ، روح المعاني للألوسي (٤/ ٣١٥) ، تفسير المراغي (٨ / ٩٧) .

٣-في مطلع السورة إشارة إلى نعمة الخلق، وفي خاتمتها إشارة إلى نعمة الاستخلاف في الأرض، وبيان للحكمة من هذا الاستخلاف وهو الابتلاء .

٤-وفي مطلع السورة حديث عن إحاطة علمه ﷻ بأحوال عباده وأعمالهم ، قال تعالى:﴿ **وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ**﴾- سورة الأنعام (من الآية٣)، وفي خاتمتها بيان لمصير الخلق إلى ربهم لينبئهم بما عملوا ويجازيهم بما كسبوا . فالمذكور في بداية السورة مناسب لخواتيمها.[1]

(١) انظر : التفسير الموضوعي لسورة الأنعام للشرقاوي (٨) .

المبحث الثاني
تفسير الآيات تفسيرًا تحليليًا مقارنًا أدلة إثبات الوحدانية والبعث للاحتجاج على المشركين المنكرين

قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾– سورة الأنعام (الآيات ١٢-١٦).

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : المناسبة

تتحدث هذه الآية عن تفرد الله تعالى بالملك واتصافه بالرحمة ، وما يستتبع ذلك من جمع الخلائق يوم القيامة، وبيان أن الخسران لمن حرم نفسه نعمة الإيمان ، يعقب ذلك بيان دلائل قدرة الله ﷻ ، وشواهد عظمته جلّ في علاه ، وبراهين تفرده فلا ربّ سواه، ولا معبود سواه .

وإذا ثبت كون الله هو الخالق المبدع المنشئ للسموات والأرض وما فيها من كل متحرك وساكن، ثبت كونه قادراً على الإعادة والحشر، وثبت أنه تعالى الملك المطاع، ولا بد حينئذ من مبلّغ ، والمبلّغ هو النبي ﷺ ، وبهذا تنتظم هذه الآيات مع الهدف العام للسورة الكريمة ، وهو: تقرير العقيدة ، وبيان أركانها، بطريق السؤال والجواب، وهو

نمط آخر يجذب الأنظار ويستميل السامع حتى لا يمل .[١]

المسألة الثانية : نوع الاستفهام ، وفائدة أمره تعالى بالسؤال أولاً ثم بالجواب ثانياً !

أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بسؤال قومه ﴿**قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ ، وهو سؤال تبكيت وتقرير وتقريع ، ثم أمره بالجواب﴿ **قُلْ لِلَّهِ** ﴾ تقريرا لهم ، نيابة عنهم ، أو إلجاء لهم إلى الإقرار بأن الكل له ﷻ .[٢]

قال الرازي: " فقد أمره الله تعالى بالسؤال أولاً ثم بالجواب ثانيـًا، وهذا إنما يحسن في الموضع الذي يكون الجواب قد بلغ في الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكر ، ولا يقدر على دفعه دافع . ولا جرم أن أمره بالسؤال أولا ثم بالجواب ثانيا ، ليدل ذلك على أن الإقرار بهذا المعنى مما لا سبيل إلى دفعه ألبتة . وأيضـًا فالقوم كانوا معترفين بأن كل العالم ملك لله ﷻ ، وملكه تحت تصرفه وقهره وقدرته، كما قال تعالى:﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**﴾- سورة لقمان (من الآية٢٥)"[٣] . وبمثله قال النيسابوري، أبو السعود، الألوسي ، القنوجي ، القاسمي.[٤]

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٦/ ١٧٣-١٧٤)، تفسير المراغي (٧/ ٨٥)، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٧ / ٢٦٧) ، التفسير المنير للزحيلي (٧ / ١٥٠) .

(٢) انظر : الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٢٨) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٢ / ٢٧١) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٨٥- ٨٦) ، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢ / ١٧٧- ١٧٨) ، روح المعاني للألوسي (٤/ ٩٨) ، التحرير والتنوير لابن عاشور (٧ / ١٥٠) ، محاسن التأويل للقاسمي (٦ / ٤٦٩ – ٤٧٠) .
وهذا الأسلوب يسمى أسلوب التلقين .

(٣) مفاتيح الغيب (٦ / ١٧٤) .

(٤) غرائب القرآن (٧ / ٥٥) ، إرشاد العقل السليم (٢ / ١٧٧- ١٧٨) ، روح المعاني (٤ / ٩٨) ، فتح البيان (٤ / ١١٠) ، محاسن التأويل (٦ / ٤٦٩- ٤٧٠) .

وقال الواحدي: "جاء السؤال والجواب من جهة واحدة ، وهذا إخبار عن عظيم ملكه ﷻ"[١] .

وبذلك يظهر أن مجيئه بالجواب عقيب السؤال ليكون ذلك أبلغ في التأكيد، وآكد في الحجة، بأن الذي خلق ما في السموات والأرض قادر على أن يعالجهم بالعقوبة، ويبعثهم بعد الموت .[٢]

قوله تعالى : ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : مناسبة الجملة لما قبلها

لما بين ﷻ كمال إلاهيته وقدرته ونفاذ تصرفه في عالم المخلوقات ، أردفه بكمال رحمته وإحسانه إلى الخلق .[٣]

المسألة الثانية : معنى كتب في الآية

كتب:أي قضى وفرض وأوجب على نفسه إيجاب تفضّل وكرم أنه بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة ، ويقبل منهم الإنابة والتوبة. وهو قول جمهور المفسرين .[٤]

---

(١) الوسيط (٢ / ٢٥٥) .

(٢) انظر : معاني القرآن الكريم للنحاس (٢ / ٤٠٤) ، معالم التنزيل للبغوي (٢ / ٨٧) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٢ / ٢٧١) ، الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٣٩٥) .

(٣) انظر : مفاتيح الغيب للرازي (٦ / ١٧٤) ، والبحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٨٦).

(٤) جامع البيان للطبري (٩ / ١٦٧) ، الوسيط للواحدي (٢ / ٢٥٥) ، معالم التنزيل للبغوي (٢ / ٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٢ / ٣٢٨) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٢ / ٢٧١) ، مفاتيح الغيب للرازي (٦ / ١٧٤) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦ / ٣٩٥) ، بدائع التفسير لابن القيم (٢ / ١٤٢) ، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢ / ١٧٨) ، فتح القدير للشوكاني (٢ / ١٠٣) ، فتح البيان للقنوجي (٤ / ١١٠) ، محاسن التأويل للقاسمي (٦ / ٤٧٠).

والمراد من الآية كما ذكر المفسرون: هذا من الله ﷻ استعطاف للمعرضين عنه ، إلى الإقبال عليه بالتوبة والإنابة، وإخبار بأنه رحيم بالعباد وأن رحمته سبقت غضبه. كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي "(١) .

وعن سلمان الفارسي ﷺ قال : إن الله ﷻ لما خلق السماء والأرض ، خلق مائة رحمة ، كل رحمة ملئ ما بين السماء إلى الأرض ، فعنده تسع وتسعون رحمة ، وقسم رحمة بين الخلائق ، فبها يتعاطفون ، وبها تشرب الوحشُ والطير الماء ، فإذا كان يوم القيامة قصرها الله على المتقين ، وزادهم تسعا وتسعين "(٢).

وقد أشار ﷻ إلى مثل هذا المعنى في نفس السورة حيث قال:﴿ **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾سورة الأنعام (الآية ٥٤)، وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ – سورة الشورى (الآية٢٥). وأغلب المفسرين على ذلك .(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التوحيد ، باب : وكان عرشه على الماء ، حديث (٦٩٨٦) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : التوبة ، باب : في سعة رحمة الله تعالى ، حديث (٢٧٥١) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩ / ١٦٨) ، وبنحوه أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : التوبة ، باب: في سعة رحمة الله تعالى ، حديث (٢٧٥٣) .

(٣) جامع البيان للطبري (٩ / ١٦٧ – ١٨٦) ، معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٨٧) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٢٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦ / ٣٩٥) روح المعاني للألوسي (٤ / ٩٩) ، التحرير والتنوير لابن عاشور (٧ / ١٥١ – ١٥٢) ، فتح البيان للقنوجي (٤ / ١١٠) ، محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٤٧٠) .

ويحتمل أن يكون: الإمهال إلى يوم القيامة كما قال الزجاج عن تفسير الآية: " الله ﷻ تفضّل على العباد بأن أمهلهم عند كفرهم وإقدامهم على كبائر ما نهاهم عنه بأن أنظرهم وعمّرهم ليتوبوا، فذلك كتبُه الرحمة على نفسه"[١]. وبمثله قال النحاس.[٢]

ولا مانع من احتمال الآية لكلا المعنيين ؛ لأن من مظاهر رحمته ﷻ أنه يمهل عباده فلا يعاجلهم بالعقوبة رجاء توبتهم _ والله تعالى أعلم – . والأول أظهر لإجماع أهل التأويل على ذلك.

المسألة الثالثة : إثبات صفة النفس لله ﷻ :

من المفسرين من أثبت النفس لله –تعالى– فقال: " أخبر سبحانه في كتابه أنه كتب على نفسه الرحمة " .[٣]

ومنهم من قال : " أي أوجبها على ذاته المقدسة" .[٤] ومنهم من أوّلها إلى غير ذلك.[٥]

وقد اختلف علماء السلف في النفس هل هي صفة للذات أم أنها هي الذات؟ فمنهم من عدّ النفس من صفات الله تعالى [٦] ، بينما صرح شيخ الإسلام ابن تيمية بأن النفس

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٣١ – ٢٣٢) .

(٢) معاني القرآن (٢ / ٤٠٤) .

(٣) بدائع التفسير لابن القيم(٢/ ١٤٢ – ١٤٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢/ ١٢٩)، تهذيب التفسير وتجريد التأويل لشيبة الحمد(٤ / ٣١٩).

(٤) إرشاد العقل السليم (٢ / ١٧٨) ، روح المعاني (٤ / ٩٩) ، محاسن التأويل (٦ / ٤٧٠) .

(٥) الكشاف (٢ / ٣١٥) ، أنوار التنزيل للبيضاوي (١ / ٤٧٤) .

(٦) كالإمام ابن خزيمة انظر كتابه التوحيد (١/ ١١ – ٢٢) ، وكذلك الإمام أبو عبدالله بن خفيف انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ٧٢ – ٧٣) .

ليست من صفات الله تعالى ؛ وإنما هي ذات الله المقدسة ؛ لأن نفس الشيء ذاته وعينه.[١]

ومذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات ، إثبات ما أثبته الله ﷻ، وما أثبته له رسوله الكريم ﷺ. وطريقتهم في ذلك:"أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، ويصان ذلك من التحريف ، والتمثيل والتكييف ، والتعطيل ؛ فإن الله ليس كمثله شيء ؛ لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله "[٢] .

والمراد بالنفس في الآية : الله ﷻ المتصف بصفات الكمال ، ولا يقصد بذلك ذات منفكة عن الصفات[٣] ، والله – تعالى – أعلم .

قوله تعالى :﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

وفيه أربع مسائل :

المسألة الأولى : المناسبة

لما ذكر ﷻ أنه رحم عباده ، ذكر الحشر وأن فيه المجازاة على الخير والشر .[٤]

المسألة الثانية : نوع اللام ، وأوجه الإعراب في قوله:﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾

اللام:لام القسم. وقد اختلف النحويون في هذا الكلام هل هو مبتدأ أو متعلق بما قبله فيكون كالتفسير له ؟ على قولين :

١ – قالوا: جائز أن يكون تمام الكلام ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ – سورة الأنعام

---

(١) مجموع الفتاوى (٩ / ٢٩٢ – ٢٩٣) ، (١٤ / ١٩٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٥١٥) ، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١ / ١٢٩) .

(٣) للتحقيق في ذلك انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٨١ – ٨٢) ، لوامع الأنوار البهية (١ / ٢١٩) .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٨٦).

(من الآية ٥٤)، ثم استأنف فقال: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ ، وكأن المعنى: والله ليجمعنكم. والجملة القسمية لا تعلق لها بما قبلها من حيث الإعراب ، وإن تعلقت بمن حيث المعنى . وهو اختيار جماعة من المفسرين .[١]

٢- وجائز أن يكون﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ ﴾بدلاً من الرحمة مفسراً لها ؛ لأنه لما قال:﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ فسّر رحمته بأنه يمهلهم إلى يوم القيامة ، تقديره: أن يجمعكم ، فتكون الجملة في موضع نصب على البدل من الرحمة ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ – سورة يوسف (الآية ٣٥)، والمعنى: أن يسجنوه . ذكره بعض المفسرين[٢] ، وقد ردّ هذا القول ابن عطية .[٣]

المسألة الثالثة : معنى قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾

لا ريب: لا شك فيه، أي: في أن الله يجمعكم إلى يوم القيامة فيحشركم إليه جميعاً

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري (٩ / ١٧١ – ١٧٢) ، الوسيط للواحدي (٢ / ٢٥٦) ، معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٨٧) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٢ / ٢٧٢) ، زاد المسير لابن الجوزي (٣ / ٩) ، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٦ / ١٧٥) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦ / ٣٩٥) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٨٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ١٧) ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ١٢٩) ، إرشاد العقل السليم لأبو السعود (٢ / ١٧٩) ، فتح القدير للشوكاني (٢ / ١٠٣) ، روح المعاني للألوسي (٤/ ٩٩ – ١٠٠) ، محاسن التأويل للقاسمي(٦/ ٤٧٠) .

(٢) جامع البيان ٩ / ١٧١) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢ / ٢٣٢) ، البحر المحيط (٤ / ٨٦) ، روح المعاني (٤ / ٩٩ – ١٠٠) ، محاسن التأويل (٦ / ٤٧٠) .

(٣) المحرر الوجيز ٢٧٢) .

فيجازي كل عامل بما عمل .[١]

قال ابن كثير: " أقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عباده إلى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة الذي لا ريب فيه: أي لا شك فيه عند عباده المؤمنين، فأما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون "[٢] .

المسألة الرابعة : في أن الجمع من مقتضيات رحمته ﷻ :

قال العلماء : من مقتضيات الرحمة : الحشر يوم القيامة بلا شك للثواب والعقاب ؛ لأنه متى عرف الإنسان ما قد ينتظره أقبل على الخير وكف عن الشر، فكان إيجاد هذا الوازع النفسي طريقاً لتهذيب النفوس، والرحمة بالعباد، ولولا خوف العذاب يوم القيامة ، لامتلأت الدنيا فساداً وفوضى وإجراماً ، ولضج العالم ، واختل نظام المجتمع ، فصار التهديد بهذا اليوم من مظاهر الرحمة .[٣]

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : أوجه الإعراب في قوله:﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾

في الآية قولان:

الأول: أن قوله:﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا ﴾ موضعه نصب على البدل من الضمير "الكاف

---

(١) انظر : جامع البيان (٩ / ١٧٣) ، بحر العلوم للسمرقندي (١ / ٤٧٦) ، المحرر الوجيز (٢ / ٢٧٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٣٩٥) ، تفسير ابن كثير (٢ / ١٢٩) ، إرشاد العقل السليم (٢ / ١٧٩) ، التفسير الواضح لمحمود حجازي (٧ / ٥٩٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢ / ١٢٩) .

(٣) انظر : تفسير المراغي (٧ / ٨٧) ، تفسير المنار لرشيد رضا (٧ / ٢٦٧) ، التفسير الواضح لمحمود حجازي (٧ / ٥٩٣) ، التفسير المنير للزحيلي (٧ / ١٥٠ – ١٥١) .

والميم" في قوله: لَيَجْمَعَنَّكُمْ ، والمعنى: ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم إلى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به ، وهو قول الأخفش .[١] واختاره الطبري .[٢]

والثاني: أن قوله: ﴿ **الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ في موضع رفع على الابتداء، وخبره قوله: ﴿ **فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ ؛ لأن قوله:﴿ **لَيَجْمَعَنَّكُمْ** ﴾، مشتمل على الكل، على الذين خسروا أنفسهم وعلى غيرهم . وهو قول الزجاج[٣] ، واختاره : القرطبي[٤] ، قال ابن عطية : وهذا قول حسن .[٥]

وقال الزمخشري: " قوله " الذين خسروا أنفسهم " النصب على الذم ، أو رفع ، أي : أريد الذين خسروا أنفسهم ، أو أنتم الذين خسروا أنفسهم "[٦] ، وبمثله قال البيضاوي .[٧]

المسألة الثانية : معنى قوله ﴿ خَسِرُوا﴾

قال الطبري: " الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الندّ والعديل ، فأبقوها بإيجابهم سخط الله وأليم عقابه في المعاد "[٨] . وبمثله قال ابن عطية ، والقنوجي .[٩]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢ / ٢٣٢) .

(٢) جامع البيان (٩ / ١٧٣) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٣٢) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٣٩٦) .

(٥) المحرر الوجيز (٢ / ٢٧٢) .

(٦) الكشاف (٢ / ٣٢٨) .

(٧) أنوار التنزيل (١ / ٤٨١) .

(٨) جامع البيان (٩ / ١٧٣) .

(٩) المحرر الوجيز (٢ / ٢٧٢) ، فتح البيان (٤ / ١١١) .

وأصل الخسار: الغبن ، يقال : خسر الرجل في البيع ، إذا غُبن .[١]

والمعنى: الذين ضيعوا أنفسهم حيث غبنوها حظها وأوبقوها وأتلفوها أغلى رأس مالهم ، فهؤلاء بسبب انتكاس فطرتهم وانطماس بصيرتهم لا يؤمنون بالله ، لا يصدقون برسوله محمد ﷺ، ولا يقرون بالبعث والنشور، فعرضوا أنفسهم لسخط الله وأليم عقابه ؛ لأنهم حرموها استعمال نعمتي العقل والعلم .[٢]

قوله: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

وفيه أربع مسائل :

المسألة الأولى : المناسبة :

لما ذكر تعالى أنه له ملك ما حوى المكان من السموات والأرض، ذكر ما حواه الزمان من الليل والنهار، وإن كان كل واحد من الزمان والمكان يستلزم الآخر، لكن النص عليهما أبلغ في الملكية، وقدم المكان لأنه أقرب إلى العقول والأفكار من الزمان.[٣]

المسألة الثانية : معنى قوله تعالى﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ ﴾

في معنى السكون قولان : كلاهما تستعمله العرب[٤] :

الأول: أنه من السُّكنى بمعنى استقر وحلّ ، كما يقال : فلان يسكن بلد كذا إذا كان

---

(١) انظر : جامع البيان (٩ / ١٧٣) ، تفسير غريب القرآن للسجستاني (٦٩) ، لسان العرب لابن منظور (٤ / ٨٩) . مادة : خسر .

(٢) انظر : فتح البيان (٤ / ١١١) ، تفسير المراغي (٧ / ٨٧) ، تهذيب التفسير (٤ / ٣٢٢) ، التفسير المنير (٧ / ١٥١) .

(٣) انظر : البحر المحيط (٤ / ٨٧) ، التحرير والتنوير ((٧ / ١٥٥) .

(٤) المفردات (٢٤٢) ، تهذيب التفسير لشيبة الحمد (٤/ ٣٢٢).

محله فيه ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾– سورة إبراهيم (من الآية ٤٥)، وعلى هذا التقدير يكون المراد: وله كل ما حصل في الليل والنهار متحركا كان أو ساكنا. وهذا التفسير أولى وأكمل لأنه يشمل المتحرك والساكن، وهو اختيار جماعة من المفسرين .(١)

الثاني: أنه من السكون الذي هو ضد الحركة، وعلى هذا يكون فيه اكتفاء بأحد الضدين لدلالته على الآخر. قالوا: في الآية محذوف والتقدير: وله ما سكن وتحرك في الليل والنهار كقوله:﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ – النحل (من الآية ٨١)، أراد: الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر. ذكر هذا القول بعض المفسرين .(٢)

وقد ردّ هـذا القول ابن عطية فقال: " المقصود من الآية عموم كل شيء، وذلك لا يترتب إلا أن يكون ﴿ٱلَّ﴾ بمعنى : استقر وثبت "(٣) ، وضعفه ابن جزّي .(٤)

ولا شك أن جميع الكائنات متحركها وساكنها مملوك لله ﷻ، فهو الذي يسكّن الريح، أو يحركها، كما يسكن الحر والبرد .

---

(١) انظر: جامع البيان (٩ / ١٧٤) ، معاني القرآن وإعرابه(٢ / ٢٣٢)، معاني القرآن (٢ / ٤٠٥)، بحر العلوم (١/ ٤٧٦) ، الوسيط (٢ / ٢٥٦) ، الكشاف (٢ / ٣٢٨)، المحرر الوجيز (٢ / ٢٧٢)، مفاتيح الغيب (٦/ ١٧٦-١٧٧)، غرائب القرآن (٣ / ٥٦)، التسهيل لعلوم التنزيل(١ / ٢٦٤).

(٢) انظر:الوسيط (٢/ ٢٥٦)، معالم التنزيل(٢ / ٨٧)، المحرر الوجيز(٢/ ٢٧٢)، زاد المسير(٣ / ٩)، مفاتيح الغيب (٦/ ١٧٧) ،الجامع لأحكام القرآن(٦/ ٣٩٦)،أنوار التنزيل(١/ ٤٨١) ،التسهيل لعلوم التنزيل(١/ ٢٦٤)،البحر المحيط (٤/ ٨٧)، محاسن التأويل(٦/ ٤٧٤) ،المنار(٧ / ٢٧١)، تهذيب التفسير (٤/ ٣٢٢).

(٣) المحرر الوجيز (٢ / ٢٧٢) .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ٢٦٤) .

قال الطبري – رحمه الله : " وله ملك كل شيء ؛ لأنه لا شيء من خلق الله إلا وهو ساكن في الليل والنهار" [١].

وقال الواحدي:"هذا عام في كل مخلوق؛ لأن كل ما طلعت عليه الشمس وما غربت فهو من ساكني الليل والنها" [٢].

وقال ابن كثير:" أي كل دابة في السموات والأرض، الجميع عباده وخلقه، وتحت قهره وتصرفه وتدبيره، لا إله إلا هو"[٣].

المسألة الثالثة : معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

لما تقدم ذكر محادثات الكفار المكذبين ، وذكر الحشر الذي فيه الجزاء ، ناسب ذكر صفتي السمع والعلم .[٤]

قوله ﴿**السَّمِيعُ**﴾ : أي لما يقوله هؤلاء المشركون فيه من ادعائهم له شريك، وما يقوله غيرهم من خلقه .

وقوله ﴿**الْعَلِيمُ**﴾: أي بما يضمرونه في أنفسهم، وما يظهرونه بجوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك فهو يحصيه[٥].

المسألة الرابعة : نكتة بلاغية :

قال الرازي : " إن أحسن ما قيل في نظم هذه الآية ما ذكره أبو مسلم رحمه الله تعالى

---

(١) جامع البيان (٩ / ١٧٤) .

(٢) الوسيط (٢ / ٢٥٦) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢ / ١٢٩) .

(٤) البحر المحيط (٤ / ٨٧) .

(٥) جامع البيان (٩ / ١٧٤) ، وانظر: معالم التنزيل (٢ / ٨٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢ / ١٢٩).

. قال : ذكر في الآية الأولى السموات والأرض ، إذ لا مكان سواهما ، وفي هذه الآية ذكر الليل والنهار إذ لا زمان سواهما ، فالزمان والمكان ظرفان للمحدثات ، فأخبر سبحانه أنه مالك للمكان والمكانيات ، ومالك للزمان والزمانيات . وأقول هاهنا دقيقة أخرى ، وهو أن الابتداء وقع بذكر المكان والمكانيات ، ثم ذكر عقيبه الزمان والزمانيات ، لدقائق مذكورة في العقليات الصرفة ، والتعليم الكامل هو الذي يبدأ فيه بالأظهر فالأظهر مترقيا إلى الأخفى فالأخفى "[1] .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى : المناسبة:

لما تقرر بالقول السابق أن الله ﷻ مالك لكل شيء ، من سموات ، وأرض، ومكان ، وزمان ، وأنه المتصرف بالفعل والتدبير في كل شيء حتى دقائق الأشياء والأمور وخفاياها ، أمر نبيه ﷺ بقول آخر لازم لما سبق، وهو: وجوب إفراده بالعبادة ، والتوجه إليه دون سواه ؛ لأن ذلك نتيجة لازمة لكونه مالكًا لجميع ما احتوته السموات والأرض.[2]

المسألة الثانية : نوع الاستفهام ، والمراد من الولي في الآية :

الاستفهام هنا إنكاري ، معناه: أي لا أتخذ وليًا غير الله ولا أعبد سواه ، وهو كقوله

---

(١) مفاتيح الغيب (٦ / ١٧٦ – ١٧٧) .

(٢) انظر : البحر المحيط (٤ / ٨٩ –٩٠) ، التحرير والتنوير (٤ / ١٥٦)، تفسير المراغي (٧ / ٨٨) ، المنار (٧/ ٢٧٢) .

تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ** ﴾سورة الزمر (الآية ٦٤).[١]

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام، والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك، الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان: أشيئاً غير الله –تعالى– أتخذ وليـاً أستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث؟ "[٢].

والولي: هو الناصر المدبر ، ومتولي الأمر: المتصرف فيه ، يقال: تولى فلانـاً أي أتخذه ناصراً . وسمي الحليف وليـاً ؛ لأن المقصود من الحلف النصرة .[٣]

والمراد من الولي هنا: المعبود، والاستفهام الإنكاري مسلط على المفعول الأول، لا على الفعل للإعلام بأن المنكر هو اتخاذ غير الله وليـاً، لا لإنكار اتخاذ الولي مطلقـاً؛ ذلك أن تناصر المخلوقين وتولي بعضهم بعضـاً فيما هو من كسبهم العادي لا يدخل في عموم الإنكار الذي يفهم من الآية ، فقد أثنى الله ﷻ على المؤمنين بأن بعضهم أولياء بعض .[٤]

أما فعل أهل الشرك من الوثنيين وأهل الكتاب، وما يصنعونه من اتخاذ معبوداتهم

---

(١) انظر: الوسيط(٢ / ٢٥٦)، الكشاف(٢ / ٣٢٩) ، أنوار التنزيل(١/ ٤٨١) ، تفسير ابن كثير(٢/ ١٣٠) ، التحرير والتنوير(٤ / ١٥٦)، فتح البيان(٤/ ١١٢).

(٢) جامع البيان (٩ / ١٧٥) .

(٣) لسان العرب لابن منظور(١٥/ ٤٠١- ٤٠٢)مادة :ولي ، وانظر: المفردات للراغب الأصفهاني (٥٤٧) ،التحرير والتنوير(٤/ ١٥٦)، المنار(٧/ ٢٧٢) .

(٤) انظر: الكشاف (٢/ ٣٢٩)، مفاتيح الغيب (٦/ ١٧٨) ، أنوار التنزيل (١/ ٤٨١) ، البحر المحيط (٤/ ٩٠)، تفسير المراغي (٧/ ٨٨) ، تفسير المنار (٧/ ٢٧٢) ، تهذيب التفسير (٤ / ٣٢٤ – ٣٢٥) .

وأنبيائهم وصلحائهم أولياء من دون الله ، يتوجهون إليهم بالدعاء ويستغيثون بهم، ويستشفون بهم عند الله في قضاء حاجاتهم، فهذا بلا شك عبادة وشرك بالله.[١]

وقد ندد الله – تبارك وتعالى- في مواضع كثيرة من كتابه بمن يتخذ غير الله وليـًا، أي معبوداً كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ – سورة الرعد (الآية١٦).[٢]

المسألة الثالثة : معنى الفَطْر في قوله:﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ :

قال سبحانه: ﴿**فَاطِرِ**﴾ بخفض الراء صفة لله تعالى، ومعناه:أي مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما على غير مثال سابق .[٣]

وقد جاء عن ابن عباس ﷺ أنه قال: كنت لا أدري ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ**﴾ – سورة الانفطار (الآية ١) ، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصحابه: أنا فطرتها ، يقول : أنا ابتدأتها .[٤]

قال ابن منظور : " وأصل الفَطْر: الشق؛ ومنه قوله تعالى:ٌّ لخ لم لى لي َّ الانفطار أي:

---

(١) انظر : تفسير المراغي (٧ / ٨٨) .

(٢) تهذيب التفسير (٤ / ٣٢٥).

(٣) انظر : جامع البيان(٩ / ١٧٥- ١٧٧) ، بحر العلوم(١/ ٤٧٦) ،المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٣)، زاد المسير (٣/ ١٠)، مفاتيح الغيب(٦/ ١٧٨) ، الجامع لأحكام القرآن(٦/ ٣٩٧)، تفسير ابن كثير(٢/ ١٣٠)، التحرير والتنوير(٤/ ١٥٦)، فتح البيان(٤/ ١١٢)،تفسير المراغي(٧/ ٨٩) ،تفسير المنار(٧/ ٢٧٣) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٩ / ١٧٥) .

انشقت ، وفطَر نابُ البعير: شق وطلع . وفَطَر الله الخلق: خلقهم وبدأهم ، والفطرة : الابتداء والاختراع "[١] .

ٱومنه قوله تعالى: ﴿ **هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ** ﴾ – سورة الملك (من الآية٣) ، أي: شقوقًا وصدوعًا، ومنه قوله : ﴿**تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ**﴾ – سورة الشورى (من الآية٥) ، أي : يتشققن ويتصدعن .[٢]

المسألة الرابعة : إن قيل أصل الفطر الشق فكيف يكون في معنى الخلق؟

يقول الزجاج:"إنهما يرجعان إلى شيء واحد؛ لأن معنى فطرهما خلقهما خلقا قاطعًا، والانْفِطارُ والفُطُورُ: تقطع وتشق "[٣] . وقد كانت المادة التي خلقت منها السموات والأرض كتلة دخانية واحدة، ففتق رتقها وفصل منها أجرام السموات والأرض، وهذا لا شك ضرب من الفطر والشق، قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا** ﴾– الأنبياء (من الآية٣٠).[٤]

المسألة الخامسة: أوجه القراءات في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ ومعنى الإطعام في الآية:

معنى قوله: ﴿ **وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ** ﴾أي: وهو يَرْزُقُ خلقه ولا يُرْزق ؛ لأنه منزه عن الحاجة إلى الطعام وغيره غنى بنفسه عن كل ما سواه، كقوله تعالى:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ** ﴾ – الذاريات (الآيتان ٥٦-٥٧)،

(١) لسان العرب (١٠/ ٢٨٥– ٢٨٦) مادة : فطر باختصار ، وانظر: المفردات (٣٨٤).

(٢) جامع البيان (٩/ ١٧٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٣٣) .

(٤) تفسير المراغي (٧ / ٨٩) ، تفسير المنار (٧/ ٢٧٣) .

وهي قراءة الجمهور.

وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرأ:﴿ **وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ** ﴾بفتح الياء والعين، وهي قراءة الأعمش [١] ، أي : يُطعم خلقه ولا يأكل هو.[٢] قال ابن جرير: " ولا معنى لذلك لقلة القراءة به " [٣].

وفـائدة تخصيص الإطعام من بين أنواع الرزق ؛ لأن الحاجة إليه أمس لجميع الأنام.[٤]

وفي المراد من الآية قال ابن عاشور: " هذا استدلال على المشركين بما هو مسلم عندهم، لأنهم يعترفون بأن الرازق هو الله ، وهو خالق المخلوقات، وإنما جعلوا الآلهة الأخرى شركاء في استحقاق العبادة ، وقد كثر الاحتجاج على المشركين في القرآن بمثل هذا كقوله: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾- سورة الواقعة (الآيتان ٦٣-٦٤) [٥] .

(١) مختصر الشواذ لابن خالويه(٤٢)، ونسبها جماعة من المفسرين إلى سعيد بن جبير، وأبي حيوة ، وعمرو بن عبيد ، وأبي عمرو في رواية عنه ،ومجاهد . انظر:المحرر الوجيز(٢ / ٢٧٣) ،الجامع لأحكام القرآن(٦/ ٣٩٧)، البحر المحيط(٤/ ٩٠) ،الدر المصون (٣/ ٢١)، أضواء البيان(٢/ ١٤٢) .

(٢) انظر:جامع البيان(٩/ ١٧٧)، معاني القرآن وإعرابه(٢/ ٢٣٣)، معاني القرآن للنحاس(٢/ ٤٠٥)، المحرر الوجيز(٢/ ٢٧٣)،زاد المسير(٣/ ١٠) ، أضواء البيان(٢/ ١٤٢) .

(٣) جامع البيان (٩ / ١٧٧) .

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٢ / ٢٧٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٣٩٧) ، أنوار التنزيل (١ / ٤٨١) .

(٥) التحرير والتنوير (٤/ ١٥٦) .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

وفيه مسألة :

مسألة : في الخطاب للنبي ﷺ والمراد منه :

قال المفسرون : أي: أنه ﷺ أول من أسلم من هذه الأمة وبهذه الشريعة ، وأول من خضع بالعبودية ، وتذلل لأمر الله تعالى ونهيه . ٱُّ تهثمجحَّ: أي وقيل لي: لا تكون من المشركين .

والمعنى: أي قل يا محمد بعد إيراد هذه الآيات والحجج على وجوب عبادة الله وحده وعدم اتخاذ غير وليـًا: إنما أمرت من لدن ربي أن أكون أول من أسلم وانقاد لدينه من هذه الأمة التي بعثت فيها ، فلست أدعو إلى شيء لا آخذ به ، بل أنا أول مؤمن وعامل بهذا الدين، ونهاني أشد النهي أن أشرك بالله شيئـًا. أي : أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك . وفي هذا تقرير للتوحيد والرسالة على أكمل وجه .[1]

قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

وفيه مسألة :

مسألة : في تقرير البعث :

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ قل لهؤلاء المشركين إني أخاف إن عصيت ربي بعبادة غيرة عذاب يوم عظيم أي: عذاب يوم القيامة. ووصفه تعالى بالعِظَم؛ لعِظَيم هوله وفظاعة شأنه.وفي هذا تقرير للبعث بعد الموت ، وتأكيد في تربيته النفوس على الإيمان

(١) انظر: جامع البيان (٩ / ١٧٧) ، المحرر الوجيز (٢ / ٢٧٣) ، فتح البيان (٤ / ١١٣) ، محاسن التأويل (٦ / ٤٧٦) ، تفسير المراغي (٧ / ٨٩) ، المنار (٧ / ٢٧٣) ، أضواء البيان (٢ / ١٤٣) ، تهذيب التفسير (٤ / ٣٢٦) .

بذلك .[١]

قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾

وفيه مسألة :

مسألة في أوجه القراءة في الآية ، والمعنى المراد منها:

١- قرأ عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة " من يُصرف عنه يومئذ " بضم الياء وفتح الراء، بمعنى: من يُصرف عنه العذاب يومئذ. وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو ، وابن عامر، وحفص عن عاصم.

٢- وقرأ عامة قراء الكوفة: " من يَصرِف عنه " بفتح الياء وكسر الراء بالبناء للفاعل، بمعنى: من يصرف الله عنه العذاب يومئذ، وهي قراءة حمزة، الكسائي، وشعبة عن عاصم.[٢]

واختار سيبويه قراءة الضم، وقال: كلما قل الإضمار في الكلام كان أولى .[٣]

قال ابن عطية : " وهذا توجيه لفظي خفيف ، وأما المعنى فالقراءتان واحد، ورجح قوم قراءة ضم الياء ؛ لأنها أقل إضماراً "[٤] . وقال أبو حيان : " لا ترجيح بين القراءتين

---

(١) انظر: جامع البيان (٩ / ١٧٨) ، المحرر الوجيز (٢ / ٢٧٣) ، فتح البيان (٤ / ١١٣) ، محاسن التأويل (٦ / ٤٧٦) ، المنار (٧ / ٢٧٤) ، تهذيب التفسير (٤ / ٣٢٧) .

(٢) انظر: السبعة لابن مجاهد (٢٥٤) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٥٧) ، جامع البيان(٩/ ١٧٨) ، بحر العلوم(١/ ٤٧٦) ، معالم التنزيل(٢/ ٨٨) ، الكشاف(٢/ ٣٣٠) ، المحرر الوجيز (٢/ ٢٧٣- ٢٧٤) ، زاد المسير (٣/ ١١) ، مفاتيح الغيب (٦ / ١٨٠) .

(٣) نقلا عن القرطبي في تفسيره (٦ / ٣٩٧) .

(٤) المحرر الوجيز (٢ / ٢٧٣- ٢٧٤) .

المتواترتين "[١] .

والمعنى: من يصرف عنه العذاب في ذلك اليوم المهيب يوم القيامة فقد رحمه الله – تعالى – إذ أنجاه من الهول الأكبر، ومن نجا منه فقد دخل الجنة ، والنجاة من العذاب والتمتع بالنعيم في دار البقاء هو الفوز المبين الظاهر الذي لا فوز أعظم منه ، وهو كقوله تعالى:﴿ **فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ – سورة آل عمران (الآية ١٨٥).[٢]

(١) البحر المحيط (٤ / ٩٢) .

(٢) انظر:جامع البيان(٩/ ١٧٩) ،معالم التنزيل(٢/ ٨٨) ،الجامع لأحكام القرآن(٦/ ٣٩٧) ،تفسير ابن كثير(٢/ ١٣٠) ،فتح البيان(٤/ ١١٣) ،تفسير المراغي(٧/ ٩٠) .

مظاهر قدرة الله وشهادة الله للنبي بالصدق ومجادلة المشركين في تعدد الآلهة

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ سورة الأنعام (الآيات ١٧-١٩).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : في أن كشف الضر وجلب النفع بيد الله وحده :

يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: يا محمد إن يصيبك الله " بضر" أي : بشدة في دنياك، وشظف في عيشك ، وضيق فيه ، فلن يكشف ذلك عنك إلا الله\. والضر: اسم جامع لكل ما يتضرر به الإنسان من فقر، ومرض، وغير ذلك .

وإن يصيبك﴿ **بِخَيْرٍ** ﴾أي : برخاء في عيش ، وسعة في رزق ، وكثرة في المال ،﴿ **فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ ، أي: هو القادر على نفعك وضرك، وهو على كل شيء يريده قادر لا يعجزه شيء، ولا يمتنع منه شيء . والخير: اسم جامع لكل ما ينتفع به الإنسان.(١) وهو كقوله تعالى: ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ**

(١) انظر: جامع البيان (٩ / ١٧٩-١٨٠) ، بحر العلوم (١ / ٤٧٧) ، الوسيط (٢ / ٢٥٧) ، معالم التنزيل (٢/ ٨٨) ، الكشاف (٢ / ٣٣٠) ، المحرر الوجيز (٢ / ٢٧٤) ، زاد المسير (٣ / ١١) ، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٩٨) ، تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٠) ، فتح البيان (٤ / ١١٤) ، محاسن التأويل (٦ / ٤٧٨) ، تفسير المراغي (٧ / ٩٠- ٩١) .

﴿ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ – فاطر (من الآية٢). و قد كان من دعاء النبي ﷺ أنه كان يقول: " اللهم لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، ولا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ "(١) .

وبهذا المعنى جاء الحديث عن ابن عباس ﷺ أنه قال : " كنت خَلْفَ رسول اللهِ ﷺ يَوْمًا فقال : يا غُلَامُ إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لك ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ "(٢) .

وأما الأولياء الذين يُعبدون من دون الله فلا يملكون جلب نفع ولا كشف ضر ، قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ – سورة الإسراء (من الآية ٥٦).

المسألة الثانية : في توجيه الخطاب للنبي ﷺ في هذه الآية هل هو خاص به ؟

الخطاب وإن كان للنبي ﷺ إلا أنه عام للجميع ، فكأنه تعالى يقول : إن أصابك أيها الإنسان ضر كمرض ، وتعب ، وحاجة ، وحزن ، وخوف ، وذل ، اقتضته سنة الله – تعالى– فلا كاشف له ، أي: لا مزيل له ولا صارف يصرفه عنك إلا هو دون الأولياء الذين يتخذون من دونه ، ويتوجه إليهم لكشفه ، فهو إما أن يكشفه عنك بتوفيقك للأسباب الكسبية التي تزيله ، وإما أن يكشفه بغير عمل منك ولا كسب ، وإن يمسك بخير كعافية ، وغنى ، وقوة ، وجاه ، فهو قادر على حفظه عليك ، كما أنه قادر على إعطائك إياه ؛ لأنه على كل شيء قدير، وأما أولئك الذين اتخذوا من دونه أولياء فلا يقدرون على مسك بخير ولا ضر .(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : صفة الصلاة ، باب : الذكر بعد الصلاة ، حديث (٨٠٨) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الصلاة ، باب : أعتدال أركان الصلاة ، حديث (٤٧١) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، حديث (٢٥١٤) . وقال : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٣) انظر : فتح البيان (٤ / ١١٤) ، تفسير المنار (٧ / ٢٧٥) .

المسألة الثالثة : نكتة بلاغية :

من دقائق بلاغة القرآن المعجزة تحري الحقائق بأوجز العبارات، كالمقابلة هنا بين الضر والخير، وإنما مقابل الضر النفع ، ومقابل الخير الشر ، فنكتة المقابلة: أن الضر من الله ﷻ ليس شراً في الحقيقة ، بل هو تربية واختبار للعبد[1] . وقد بدأ بذكر الضر ؛ لأن كشفه مقدم على نيل مقابله ، كما أن صرف العذاب في الآخرة مقدم على النعيم فيها .[2]

قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : صفة الفوقية والعلو لله ﷻ:

في الآية إثبات لصفة الفوقية والعلو لله ﷻ على جميع خلقه ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة المثبتين لله ﷻ ما أثبت لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى، والصفات العلى ، مع إيمانهم ويقينهم بأن الله ﷻ ليس كمثله شيء وهو السميع البصر.

وعلو الله ﷻ على خلقه مركوز في الفطر السليمة ، ثابت بالكتاب ، والسنة، وإجماع السلف ، في مواضع كثيرة .

فيجب الإيمان بعلو الذات لله ﷻ بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.[3]

وقد ذكر الشيخ أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية على قول الطحاوي –

---

(١) كحادثة الإفك في زمن النبي عليه السلام فهي وإن كانت في ظاهرها شر ، إلا أنها تضمنت الخير كله .

(٢) انظر : المنار (٧ / ٢٧٥) .

(٣) انظر : العقيدة الصافية لسيد عبدالغني (٣٤٤ – ٣٤٩) ، تهذيب التفسير (٤ / ٣٣٠ – ٣٣١) .

رحمه الله: " وهو مستغن عن العرش ، وما دونه محيط بكل شيء وفوقه ، وقد أعْجز عن الإحاطة خلقه ، قال ابن أبي العز –رحمه الله: " وأما كونه فوق المخلوقات فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ، وقال:﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ سورة النحل (من الآية ٥٠)، وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية من ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه فله ﷻ فوقية القهر ، وفوقية القدرْ ، وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه "[١] .

المسألة الثانية : في معنى الآية والمراد من قوله﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ ﴾:

قال المفسرون : القهر الغلبة ، والقاهر الغالب بقدرته ، والمستعلي فوق عبادة ، يدبر أمرهم بما يريد ، فلا يستطيع أحد منهم أن يرد تدبيره ، والخروج من تحت قهره وتقديره ، فهو الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الحياة ، وعنت له الوجوه ، وقهر كل شيء ، ودانت له الخلائق ، وتواضعت لعظمة جلاله ، وكبريائه ، وعظمته ، وعلوه ، وقدرته على الأشياء ، واستكانت وتضاءلت بين يديه ، وتحت قهره وحكمه ، وهو الحكيم في جميع أفعاله ، الخبير بمصالح الأشياء ومضارها ، الذي لا يخفى عليه عواقب الأمور، ولا يقع في تدبيره خلل ، فلا يعطي إلا من يستحق ولا يمنع إلا من يستحق .[٢]

وما ذكره المفسرون في المسألة صحيح ؛ لأن الآية جمعت بين علو الذات ، وعلو

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٣١٣- ٣١٩) باختصار .

(٢) انظر: جامع البيان (٩ / ١٨٠) ، بحر العلوم (١ / ٤٧٧) ، الوسيط (٢ / ٢٥٨) ، معالم التنزيل (٢ / ٨٩) ، زاد المسير (٣ / ١١) ، تفسير ابن كثير (٢ / ١٣٠) ، فتح البيان (٤ / ١١٤-١١٥) ، محاسن التأويل (٦/ ٤٧٩) .

القهر ، فالله تعالى لا غالب له ولا منازع ، كل شيء تحت قهره وسلطانه ، وهو مستعلي عليهم ، ومهيمن عليهم ، مستو على عرشه كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه.

ومن المفسرين من منع إرادة فوقية الذات ، وإطلاق صفة العلو لله – تعالى – كالزمخشري ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، والقرطبي ؛ إذ قالوا عند تعرضهم لمعنى الآية :" تصوير للقهر والعلو بالغلبة ، والقدرة ، لا فوقية مكان . كما نقول : السلطان فوق رعيته ، أي : بالمنزلة والرفعة "[1] ، وإنما نحو إلى ذلك خوفا من القول بتحيز الباري في جهة معينة ، مخالفين بذلك أصحاب الرأي الأول القائلين بأن الله – تعالى – مستو على عرشه فوق السموات، وأنه بائن من خلقه ، ليس كمثله شيء ، فليس بمحدود، ولا محصور ، ولا متحيز .[2]

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أيُّ شَيْءٍ أكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : المناسبة :

في الآية انتقال من الاستدلال على إثبات ما يليق بالله ﷻ من الصفات ، إلى إثبات صدق رسالة محمد ﷺ وإلى جعل الله تعالى حكماً بينه وبين مكذبيه . [3]

المسألة الثانية : المراد من الآية :

قال ابن جرير: " يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين

---

(١) الكشاف (٢ / ٣٣٠) ، مفاتيح الغيب (٦ / ١٨٣ – ١٨٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٣٩٩) ، أنوار التنزيل (١ / ٤٨٢).

(٢) العقيدة الصافية لسيد عبد الغني (٣٤٨ – ٣٤٩) ، وانظر : المنار (٧ / ٢٧٧) .

(٣) التحرير والتنوير (٤/ ١٦٦) .

يكذبونك ويجحدون نبوتك من قومك : أي شيء أعظم شهادة وأكبر ؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهاده الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه ؛ من السهو ، والخطأ ، والغلط ، والكذب . ثم قل لهم إن الذي هو أكبر الأشياء شهادة : " شهيد بيني وبينكم " بالمحق من منا من المبطل ، والرشيد منا من السفيه .[١]

وقال ابن قيم الجوزية : " والمراد بالآية شهادته سبحانه لرسوله ﷺ بتصديقه على رسالته ، وكفى بشهادته إثباتاً لصدقه ، وكفى به شهيداً ، فدلالتها على صدقه ، أعظم من دلالة كل بينة وشاهد على حق "[٢] .

وفي قوله:﴿ قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ جواب للسؤال ، أمر به المأمور بالسؤال على معنى أن يسأل ثم يبادر هو بالجواب لكون المراد بالسؤال التقرير، وكون الجواب مما لا يسع المقرّر إنكاره .[٣]

المسألة الثانية :في معنى الشهادة في الآية والمقصود منها:

هي شهادته ﷺ في ثبوت النبوة لنبيه محمد ﷺ ، وكأن مشركي مكة طلبوا منه عليه السلام شاهداً على نبوته ، فقيل لهم: أكبر شيء شهادة هو الله ﷻ ، وقد شهد لي بالنبوة بالقول في الكتب التي أنزلها على الأولين ، وبالفعل فيما ظهر على يدي من المعجزات ، لا سيما أنه أوحى إليّ هذا القرآن، وتحداكم بمعارضته ، وأنتم الفصحاء البلغاء وعجزتم ، فإذا كان معجزا ، كان إظهار الله إياه على وفق دعواي شهادة من الله على كوني صادق في دعواي .[٤]

---

(١) جامع البيان (٩ / ١٨١) .

(٢) بدائع التفسير (٢ / ١٤٣) .

(٣) التحرير والتنوير (٤ / ١٦٧) .

(٤) انظر :مفاتيح الغيب (٦ / ١٨٥) ، محاسن التأويل (٦ / ٤٨٠)، تفسير المراغي (٧/ ٩٢) ، المنار (٧/ ٢٧٩).

قال ابن جزّي : " والمقصود : الاستشهاد بالله ﷻ على صدق رسول الله ﷺ ، وشهادته له التي هي أكبر شهادة بصحة نبوته "[١] . وبمثله قال : ابن قيم الجوزية .[٢]

فـائــدة :في الآية تقريع للمشركين بالله ، المكذبين بالرسالة ، المنكرين للبعث ، وتوبيخ لهم على ردهم ما دعاهم إليه محمد ﷺ من وجود الإيمان بالله ورسوله ، واليوم الآخر ، مع أنه قد برهن على دعواه بأعظم شهادة في الوجود ، وأكبر بينة ، وهي : شهادة الله الملك الحق المبين .[٣]

قوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : عموم دعوة النبي ﷺ :

يقول ﷻ لنبيه ﷺ : قل لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك: "وأوحي إلي" ، أي : أوحى الله إليّ ، " هذا القرآن " الذي تلوته عليكم ، والذي هو شاهد بنبوتي ، " لأنذركم " أي : لأنذركم به يا أهل مكة ، وسائر من بلغه من العرب والعجم، ومن الأسود والأحمر، أو من الثقلين ، أو لأخوفكم به ، وأحذركم مخالفة أمر الله أيها الموجودون ، ومن سيوجد إلى يوم القيامة ، وهو قول : قتادة ، ومحمد بن كعب القرظي، ومجاهد ، وابن عباس ، والسدي ، وابن زيد .[٤] وجماعة من المفسرين .[٥]

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ٢٦٥) .

(٢) بدائع التفسير (٢ / ١٤٣) .

(٣) تهذيب التفسير (٤ / ٣٣١ – ٣٣٢) .

(٤) أخرج لهم ابن جرير في تفسيره (٩ / ١٨٢ – ١٨٤) .

(٥) انظر : جامع البيان (٩ / ١٨٢ – ١٨٤) ، معالم التنزيل (٢ / ٨٩) ، الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٣٩٩) ، تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٠) ، إرشاد العقل السليم (٢ / ١٨٣) ، فتح البيان (٤ / ١١٥ – ١١٦) ، محاسن التأويل (١/ ٤٨٠–٤٨١) ، تفسير المراغي (٧ / ٩٢) ، المنار (٧ / ٢٧٩ –٢٨١) ، أضواء البيان (٢ / ١٤٤) .

المسألة الثانية : في الأحكام المتعلقة بالآية

١- النبي ﷺ مأمور بتبليغ القرآن والسنة ؛ لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** ﴾ – سورة المائدة (من الآية٧٦) .

٢- فضيلة تبليغ القرآن والسنة ، لقوله ﷺ من حديث عبد الله بن عمر ﷺ : قال " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ "(١) ، وقوله عليه السلام من حديث ابن مسعود ﷺ: " نَضَّرَ الله امْرَأً سمع مِنَّا شيئا فَبَلَّغَهُ كما سمع فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى من سَامِعٍ " .(٢)

٣- استدل بقوله: ﴿ **لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** ﴾ على أنه ﷺ مبعوث إلى الناس كافة ، كقوله تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ** ﴾ سبأ (من الآية ٢٨) ، وقوله ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ سورة الأعراف (من الآية ١٥٨) ، كما استدل أيضـًا على أن أحكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ، ومن سيوجد بعد إلى يوم القيامة .

٤- أن الإنذار عام لكل من بلغه ، وأن كل من بلغه ولم يؤمن به فهو في النار، لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ**﴾ – سورة هود (من الآية ١٧).

٥- أن العبرة في دعوة الإسلام القرآن ، فمن لم يبلغه القرآن لا يصدق عليه أنه بلغته الدعوة ، وحينئذ لا يكون مخاطب بهذا الدين وله حكم أهل الفترة الذين لم يأتيهم رسول . والله تعالى أعلم ،،،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائل ، حديث (٣٢٧٤) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : العلم ، باب : ما جاء في الحث على تبليغ السماع ، حديث (٢٦٥٧) . وقال : حديث حسن صحيح .

٦- أن في الآية ضمناً ما يدل على أن من لم يبلغ الحلم ليس بمخاطب ولا متعبد .

٧- أن في الإنذار دليل على نبوته ﷺ ؛ لأن القرآن معجزة شاهدة بصحة رسالته ، ولم يأت أحد بمثله ، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب .[١]

قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

وفيه مسألة :

مسألة : في إيجاب التوحيد والبراء من الشرك

بدأ ﷻ الجملة بالاستفهام التقريري الدال على الإنكار والتوبيخ والاستبعاد .

وفي الآية أمر من الله ﷻ لرسوله ﷺ بأن يقول لهؤلاء المشركين المكذبين المتخذين معبودات غير الله ﷻ أنه : لا يشهد بما يشهدون به ، بل يجحد ذلك وينكره ، كقوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ** ﴾- الأنعام (من الآية ١٥٠)، ثم أمره ﷻ بأن يفرد الله ﷻ بالألوهية فيشهد بنقيض ما يزعمون ، وأن يصرح بأن المعبود واحد ، لا شريك له ، ثم أمره ثالثاً أن يتبرأ مما يشركون به من الأصنام والأوثان وغيرها ، وهو كالتوكيد لما قبله .

وقد اشتملت الآية على أبلغ وجوه التأكيد ، وأعظم طرق البيان في التأكيد على إيجاب التوحيد ، والتحذير من الشرك .[٢]

---

(١) استنتاج من نفس المصادر السابقة .

(٢) انظر:جامع البيان(٩/ ١٨٤- ١٨٥) ،الجامع لأحكام القرآن(٦/ ٤٠٠) ،البحر المحيط(٤/ ٩٦) ،تفسير ابن كثير(٢/ ١٣١) ،إرشاد العقل السليم(٢/ ١٨٣)، فتح البيان(٤/ ١١٧) ،محاسن التأويل(٦/ ٤٨١) ،تفسير المراغي(٧/ ٩٣) ،المنار(٧/ ٢٨٢) ،تهذيب التفسير(٤/ ٣٣٣) .

الخاتمـــــــــة

الحمد لله موجد النعم وخالقها، أحمده جلّ شأنه وأشكره، وأصلي وأسلم على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين، وبعد:

فبعد الطواف مع آيات العقيدة في سورة الأنعام ، والتجوال بين كتب التفسير ما بين قراءة وتدبر وتأمل مستفيدة من زاد العلماء ومآثر أقوالهم ، كانت النتائج التالية :

١. سميت السورة بالأنعام لورود هذا اللفظ في مواضع متعددة من السورة .
٢. سورة الأنعام مكية بلا خلاف ، مع الاتفاق على أنها نزلت جملة واحدة .
٣. امتازت السورة بحججها الساطعة ، وبراهينها القاطعة ، وآياتها المتتابعة التي تُرهف الآذان ، وتخاطب الوجدان ، وتحاور العقول ، وتصل إلى القلوب .
٤. سورة الأنعام أصل في حاجة الكفار ، وكشف ما هم عليه ، وبيان للعقيدة الصحيحة وإثباتها بالأدلة والبراهين .
٥. اشتملت السورة على أسلوبين بارزين من أساليب الحجة القوية، وهما: أسلوب التقرير، وأسلوب التلقين؛ نظرا لكونها نزلت في مواجهة قوم بلغوا في العتو والإنكار والجحود مبلغا عظيما، فناسب نزولها بهذه القوة والشدة التي تقرع القلوب، وتشد الأذهان .
٦. شمولية السورة لقضايا العقيدة الأساسية ، فهي مدرسة عقدية متكاملة تستقى منها الدروس والعبر .
٧. إثبات النفس لله تعالى ، وبيان أنها هي ذاته المقدسة .
٨. عموم رحمة الله تعالى على عباده ، وأنه أوجبها على نفسه تفضلا وتكرما .
٩. ثبوت البعث والجزاء يوم القيامة وأن ذلك من مقتضيات رحمته بعباده .
١٠. ترابط العبارات في الآية الواحدة ، وحُسن انسجامها مع ما قبلها مما يؤكد أنها من لدن حكيم خبير، وهو ما يسمى بالإعجاز البياني .

١١. عموم ملك الله سبحانه وتعالى للمكان والزمان ، مع تقديم الأقرب للعقول ؛ حيث ابتدأ سبحانه بذكر ملكيته للمكان أولا ، ثم عقب بذكر ملكيته للزمان ثانيا .

١٢. بيان أن مدلول قوله تعالى " فاطر " يشمل كل من الخلق والابتداء والقطع والشق.

١٣. ليس بمقدور البشر جلب النفع أو كشف الضر لا لأنفسهم ولا لغيرهم ، وما ذلك إلا لله وحده خالق كل شيء .

١٤. دقة بلاغة القرآن وشموله للمعاني بأوجز العبارات : كالمقابلة بين الضر والخير .

١٥. إثبات صفة الفوقية والعلو لله تعالى بالاستعلاء ، والقهر ، والغلبة .

١٦. ثبوت صدق رسالة محمد ﷺ بشهادة الله تعالى ، وهي أكبر شهادة على الإطلاق .

١٧. عموم دعوة النبي محمد ﷺ لجميع الخلق أنسهم وجنهم .

١٨. شمول الآيات لأبلغ وجوه التأكيد وأعظم طرق البيان في التأكيد على إيجاب التوحيد ، والتبرؤ من الشرك .

١٩. تعتبر هذه السورة الكريمة زاد للدعاة ، ومنهج للمتحاورين .

أهم التوصيات:

أوصي الباحثين في التفسير والدراسات القرآنية بـ:

١. تدبر آيات الكتاب الحكيم ومدارسة آياته تأصيلا وتحقيقا وتقريراً.

٢. دراسة آيات العقائد وتحليلها واستخراج كنوزها فهي الأصل المحكم لبناء المجتمع الإسلامي .

٣. الاستفادة من تنوع الأساليب القرآنية في الدعوة والمناظرة .

سائلةً الله ﷻ أن يتقبل مني صالح القول والعمل وأن يغفر لي الخطأ والزلل ، والحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي، تحقيق ، محمد أبو الفضل ، ط(١٤٠٧هـ -١٩٨٧م) ، المكتبة العصرية ، صيدا _ بيروت .

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن العماد ، تحقيق : عبد القادر عطا ، ط٢ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ، دار الفكر _ بيروت .

٤. أسرار ترتيب القرآن لأبي الفضل عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : عبد القادر عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين الشنقيطي ، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان .

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي ، لناصر الدين عبد الله البيضاوي ، تحقيق : محمد صبحي حلاق ، ومحمد الأطرش ، ط١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ، دار الرشيد ، دمشق .

٧. بحر العلوم ، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ، تحقيق : علي عوض ، وعادل عبد الموجود ، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان.

٨. بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، ط١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) ، دار ابن الجوزي ، الدمام _ المملكة العربية السعودية .

٩. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد الزركشي ، ط١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ، دار الفكر ، بيروت .

١٠. البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، ط١ (١٤١٤هـ -

١٩٩٤م) ، مركز المخطوطات والتراث ، الكويت .

١١. التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن جزي الكلبي، ط١ (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

١٢. تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : علي معوض ، وعادل عبد الموجود ، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، دار الكتب العلمية _ بيروت .

١٣. تفسير التحرير والتنوير ، لمحمد ابن عاشور ، ط (١٩٩٧م) ، دار سحنون ، تونس .

١٤. تفسير غريب القرآن لمحمد بن عزيز أبو بكر السجستاني ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، القاهرة .

١٥. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، لمحمد الرازي فخر الدين ، ط (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) ، دار الفكر ، بيروت .

١٦. تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ، ط٢ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان .

١٧. تفسير القرآن العظيم ، للإمام ابن كثير إسماعيل القرشي الدمشقي ، تحقيق : يوسف المرعشلي ، ط١٠ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) ، دار المعرفة ، بيروت _ لبنان.

١٨. تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت ، ط ١٢ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م) ، دار الشروق ، القاهرة .

١٩. تفسير المراغي ، لأحمد مصطفى المراغي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلي، ط(١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الفكر،دمشق .

٢١. التفسير الموضوعي لسورة الأنعام للدكتور أحمد محمد الشرقاوي ، ط (١٤٢٨هـ) ، الشارقة .

٢٢. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، لنظام الدين الحسن النيسابوري ، ضبط وتخريج : زكريا عميرات ، ط١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٣. التفسير الواضح للدكتور محمد حجازي ، ط١٠ (١٤١٣هـ ١٩٩٣م) ، دار الجيل ، بيروت .

٢٤. تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل ، للشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد ، ط١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) ، مكتبة المعارف ، الرياض .

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : الدكتور عبد الله التركي ، دار هجر .

٢٦. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد ابن سورة ، ط (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٧. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد القرطبي ، ط (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ، دار الكاتب العربي ، القاهرة .

٢٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق : علي عوض ، وعادل عبد الموجود ، ط١ (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٩. الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ، ط (١٩٩٣هـ) ، دار الفكر ، بيروت .

٣٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل السيد محمود الألوسي ، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان .

٣١. زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن ، ط١ (١٤٠٦هـ- ١٩٨٧م) ، دار الفكر ، بيروت .

٣٢. زهرة التفاسير للإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٣٣. السبعة لابن مجاهد أبي بكر أحمد البغدادي، تحقيق: د. شوقي ضيف ، ط٢ (١٤٠٠هـ) ، دار المعارف ، مصر .

٣٤. سنن الدارمي لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، ط١ (١٤٠٧هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣٥. شرح العقيدة الطحاوية ، لعلي بن أبي العز الدمشقي ، ط٤ (١٣٩١هـ) ، المكتب الإسلامي بيروت .

٣٦. شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ط١ (١٤١٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٧. صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد البخاري ، ط٣ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ، دار ابن كثير ، بيروت .

٣٨. صحيح مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣٩. العقيدة الصافية للفرقة الناجية ، لسيد سعيد عبد الغني ، ط٢ (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م) ، مكة المكرمة .

٤٠. فتح البيان في مقاصد القرآن ، لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي ، ، ط (١٤١٢خـ - ١٩٩٢م) ، المكتبة العصرية ، صيدا .

٤١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، عالم الكتب .
٤٢. فضائل القرآن لأبي عبيدة .
٤٣. فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لأبي الفرج جمال الدين ابن الجوزي ط (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٤٤. كتاب التوحيد ، للإمام أبي بكر محمد ابن خزيمة ، تحقيق : د. عبد العزيز الشهوان ، ط٦ (١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) ، مكتبة الرشد ، الرياض .
٤٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم محمود الزمخشري ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، علي معوض ، ط١ (١٤١٨هـ– ١٩٩٨م) ، مكتبة العبيكان ، الرياض .
٤٦. لسان العرب لابن منظور ، ط٢ (١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٤٧. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية ، للعلامة محمد السفاريني ، ط٣ (١٤١١هـ – ١٩٩١م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
٤٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين الهيثمي ، ط٣(١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٤٩. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم ، ط (١٤٠٤هـ) ، مكتبة النهضة ، مكة المكرمة .
٥٠. محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ، ط٢ (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) ، دار

الفكر ، بيروت .

٥١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، ط١ (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان .

٥٢. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ، ط (١٩٩٦م) ، مكتبة لبنان .

٥٣. مختصر الشواذ لابن خالويه .

٥٤. المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار المعرفة ، بيروت .

٥٥. معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين البغوي ، ط٤ (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ، دار المعرفة ، بيروت لبنان .

٥٦. معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ، ط١ (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م) ، مركز إحياء التراث ، مكة المكرمة .

٥٧. معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق السري ، ط١ (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) ، عالم الكتب ، بيروت .

٥٨. المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني ، ط٢ (١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م) ، مكتبة الزهراء ، الموصل .

٥٩. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، ط١ (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م) ، دار المعرفة ، بيروت .

٦٠. النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم البقاعي ، ط٢ (

١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

٦٢. النكت والعيون لأبي الحسن علي بن أحمد الماوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٦٣. النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، ط (١٣٩٩ هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٦٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد النسيابوري ، ط١ (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

٦٥. الشبكة المعلوماتية (الانترنت) :

تأملات في سورة الأنعام للدكتور صالح المغامسي ، مادة صوتية ، مكتبة طريق الإسلام ، قسم الصوتيات ، www.islamway.com

فهرس الموضوعات

موجز عن البحث **١١٣٠**
مقدمة..... **١١٣٣**
المبحث الأول: وقفات بين يدي السورة **١١٣٧**
اسم السورة ١١٣٧
فضل السورة ١١٣٨
زمن نزول السورة ١١٤٠
نوع السورة واختلاف العلماء في كيفية نزول السورة ١١٤٠
ترتيبها وعدد آياتها ١١٤٣
محور السورة ١١٤٣
الموضوعات التي اشتملت عليها السورة ١١٤٥
أغراض السورة ١١٤٧
مناسبة السورة لما قبلها ١١٤٧
المبحث الثاني : تفسير الآيات تفسيرًا تحليليًا مقارنًا أدلة إثبات الوحدانية والبعث للاحتجاج على المشركين المنكرين **١١٥١**
قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ ١١٥١
المسألة الأولى : المناسبة ١١٥١
المسألة الثانية : نوع الاستفهام ، وفائدة أمره تعالى بالسؤال أولاً ثم بالجواب ثانيـًا ! ١١٥٢
قوله تعالى : ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ ١١٥٣
المسألة الأولى : مناسبة الجملة لما قبلها ١١٥٣
المسألة الثانية : معنى كتب في الآية ١١٥٣
المسألة الثالثة : إثبات صفة النفس لله ﷻ : ١١٥٥

قوله تعالى :﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ١١٥٦
المسألة الأولى : المناسبة ١١٥٦
المسألة الثانية : نوع اللام ، وأوجه الإعراب في قوله:﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ ١١٥٦
المسألة الثالثة : معنى قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ١١٥٧
المسألة الرابعة : في أن الجمع من مقتضيات رحمته ﷻ : ١١٥٨
قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ ١١٥٨
المسألة الأولى : أوجه الإعراب في قوله:﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ ١١٥٨
المسألة الثانية : معنى قوله ﴿ خَسِرُوا﴾ ١١٥٩
قوله: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ١١٦٠
المسألة الأولى : المناسبة : ١١٦٠
المسألة الثانية : معنى قوله تعالى﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ ﴾ ١١٦٠
المسألة الثالثة : معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ١١٦٢
المسألة الرابعة : نكتة بلاغية : ١١٦٢
قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ .. ١١٦٣
المسألة الأولى : المناسبة: ١١٦٣
المسألة الثانية : نوع الاستفهام ، والمراد من الولي في الآية : ١١٦٣
المسألة الثالثة : معنى الفَطْر في قوله:﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : ١١٦٥
المسألة الرابعة : إن قيل أصل الفطر الشق فكيف يكون في معنى الخلق؟ ١١٦٦
المسألة الخامسة: أوجه القراءات في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ ومعنى الإطعام في الآية: ١١٦٦
قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ١١٦٨
مسألة : في الخطاب للنبي ﷺ والمراد منه : ١١٦٨
قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ١١٦٨
مسألة : في تقرير البعث : ١١٦٨

قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾..... ١١٦٩
مسألة في أوجه القراءة في الآية ، والمعنى المراد منها: ١١٦٩
مظاهر قدرة الله وشهادة الله للنبي بالصدق ومجادلة المشركين في تعدد الآلهة.... ١١٧١
قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١١٧١
المسألة الأولى : في أن كشف الضر وجلب النفع بيد الله وحده : ١١٧١
المسألة الثانية : في توجيه الخطاب للنبي ﷺ في هذه الآية هل هو خاص به ؟ ١١٧٢
المسألة الثالثة : نكتة بلاغية : ١١٧٣
قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ١١٧٣
المسألة الأولى : صفة الفوقية والعلو لله ﷻ: ١١٧٣
المسألة الثانية : في معنى الآية والمراد من قوله﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ ﴾: ١١٧٤
قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ ١١٧٥
المسألة الأولى : المناسبة : ١١٧٥
المسألة الثانية : المراد من الآية : ١١٧٥
المسألة الثانية :في معنى الشهادة في الآية والمقصود منها: ١١٧٦
قوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾..... ١١٧٧
المسألة الأولى : عموم دعوة النبي ﷺ :..... ١١٧٧
المسألة الثانية : في الأحكام المتعلقة بالآية..... ١١٧٨
قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ١١٧٩
مسألة : في إيجاب التوحيد والبراء من الشرك ١١٧٩
الخاتمـــــــة ١١٨٠
فهرس المصادر والمراجع ١١٨٢
فهرس الموضوعات ١١٨٩